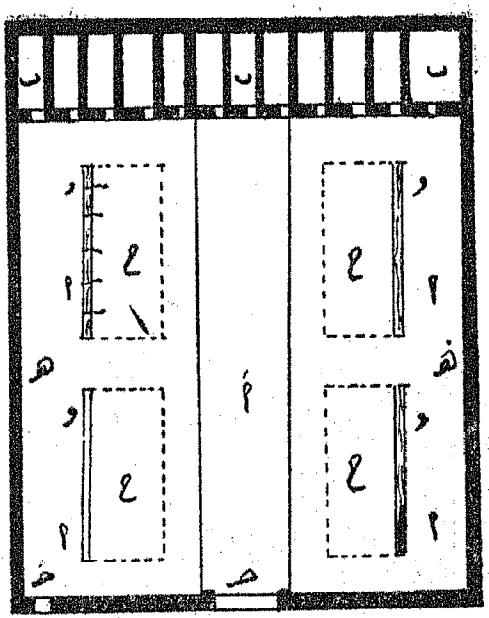
ب
ب
ب
د
ا
ل
د
ا
ل
د
ا
ل
د
ا
ل
هـ
هـ
ا
ا
حـ
حـ

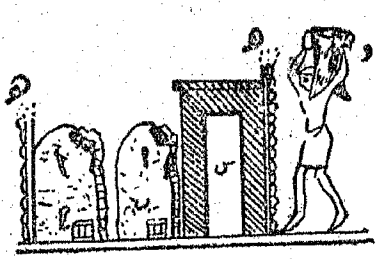
د
د
ا
ا
س

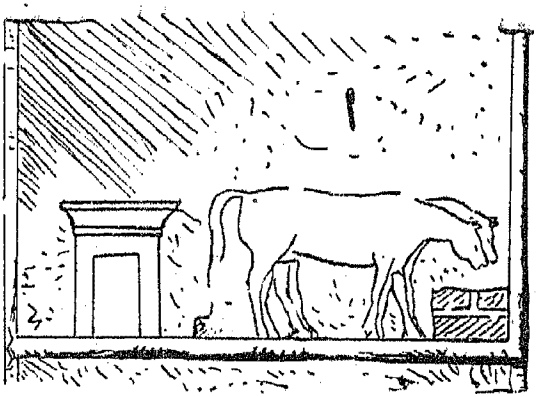

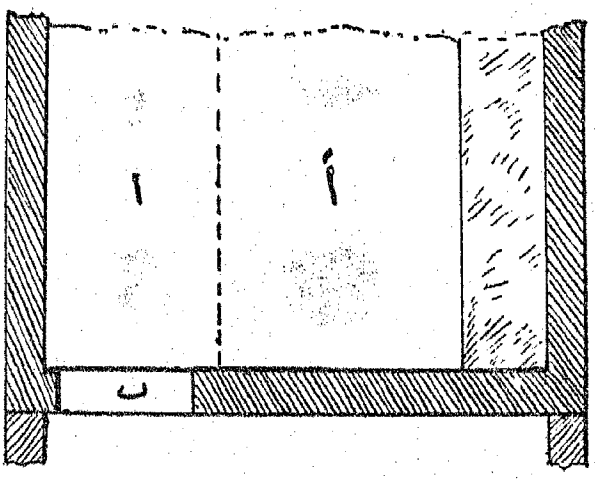
ا
أ
ب

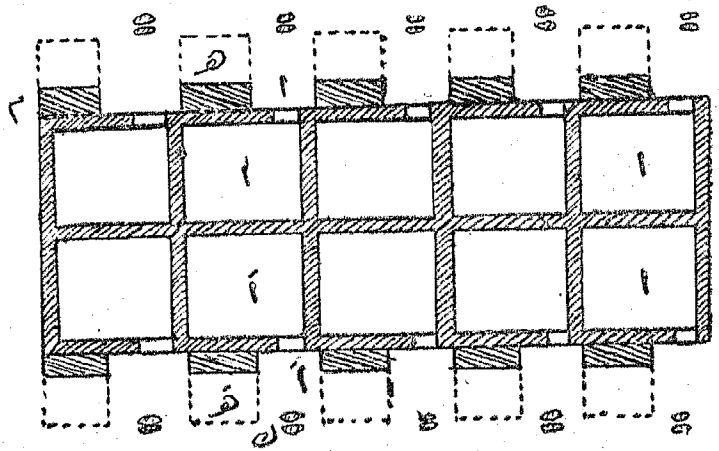

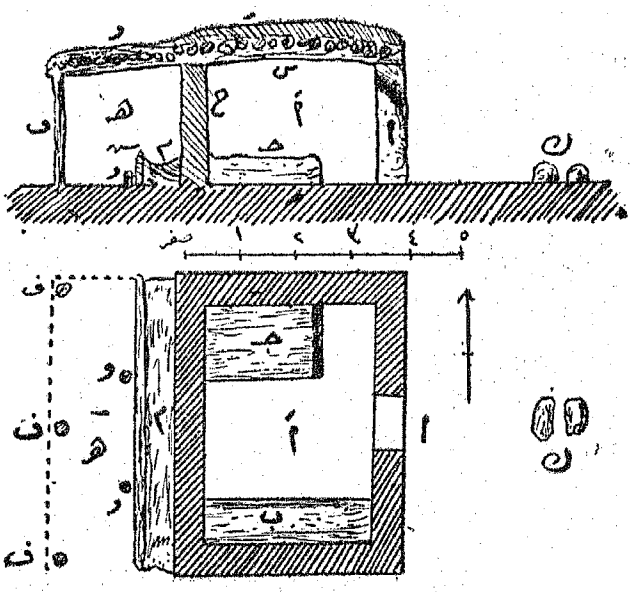

المباني الزراعية بمصر

لجناب المسيو فيكتور موصيري والمسيو س . أودبوبي

لم يخرج الي عالم المطبوعات حتى اليوم على ما نعلم كتاب يسترشد به الذين يعنون باقامة المباني الزراعية في مصر ويهديهم الى اختيار المواد لاقامتها أو لاعدادها وتنظيمها

وقد عملنا فى بحثنا على سد هذا الفراغ فاخذنا على عاتقنا القيام بهذا العمل الذي نقدمه اليوم لطائفة المزارعين المصريين. هذا ولا نعد ما نورده هنا موضوعا وافيا. اذ أننا لم نعمد الي شرح قرى وفدن مصر القديمة والحديثة ولم نشأ التعرض لفن العمارة فى هذا القطر الذى اجتذب بنيانا مساكنه الأصلية القديمة فى قراه ومدنه ، بما لها من الصفات الخاصة بهم انظار العلماء من مؤرخين وجغرافيين وهندسيين (١) فى كل زمان

وقد كان فن العمارة في مصر القديمة والحديثة موضوع مؤلفات قيمة (٢) . الا أننا لم نتوخ في بحثنا هذا غير الاشارة بوجه عام الي

(١) يحسن الاستفاده بمراجعة الكتب الاقتصادية والتشريعية والاجتماعية عن مصر الحديثه التي نشرتها الجمعية السلطانية للاقتصاد والتشريع والاحصاء

(٢) نخص بالذكر منها كتاب — ادمون ماريت — بحث عملى قيم عن البناء فى مصر — طبعه أولي ١٨٧٥ طبعه ثانيه ١٨٨٦

وكتاب اوجست شوازي — فن البناء عند المصريين — طبعة باريس ١٩٠٣ . ثم التجارب المشهورة الفياضة بالمعلومات الحقيقية للمسيو مكس رنجلمان عن « تاريخ

الاصول التى يحسن اتباعها في اقامة المباني الزراعية بمصر فبعد أن المعنا الي تاريخ تطور المباني الزراعية بمصر وبعد أن أوردنا بيانات اجمالية، نظن فيها الكفاية ، تتعلق بمواد البناء والمون واعمال الحفر خرجنا ببحثنا الى القواعد العامة لتخطيط وانشاء المبانى الزراعية أي مساكن الاهلية التى يطلق عليها فى مصر اسم « عزبة (١) » وحظائر الماشية ومستودع الالات وغيرها مما يطلق علي مجموعها بمصر اسم « دوار »

ولقد ختمنا هذا البحث بابداء شئ مما يتعلق بالاعمال الفنية الصغيرة التى يفتقر اليها المزارعون في ري أراضيهم أو صرف المياه الزائدة عنها

وفى كل ذلك لم نتقيد بما جاء فى المطولات التى توجد عادة فى المراجع الدراسية التى وضعت في مصر أو خارجها ولكنا كان مرجعنا دائما الصفات الخاصة بالابنية الزراعية في هذا القطر

ف . م . م — ش . ا

هندسة الريف» المجموعة السنويه للمجمع الزراعي الاهلى جزء ثالث ١٩٠٤ وكتاب ادمون ماريت ولو انه وضع منذ خمس واربعين سنة فهو يحوى كثيرا من المعلومات العملية التى لاتزال صالحة حتى اليوم . وتاريخ هندسة الريف للمسيو رنجلمان يشمل في بحثه في البنايات الزراعيه في مصر القديمه فصلا غاية في الاهمية ودقة النقل عن مشاهير المؤرخين والعلماء وقد نقلناه عنه بعد أن تفضل بالتصريح بذلك ونحن نقدم له من أجله خالص الشكر .

(١) يلاحظ أن كلمة « عزبة » تطلق احيانا فى اللغة السارية لاعلى مساكن المزارعين فحسب بل تتناول مجموع الابنية الاخري الخاصة بالمزرعة عموما أو مساكن القرية برمتها

تمهيد

«العزبة» حسب ما نفهم من مدلول الكلمة اليوم وباوسع معناها، تلك المجموعة من الابنية الزراعية القائمة على الأرض التى تتعلق بها شئ مستحدث في مصر الفتاة (١).

وهي التى لم يكن لها وجود قبل قرن مضى لم تأخذ شكلها الحالي من الانتشار والاتساع الا من مدة لا تكاد تصل نصف قرن

وكانت تتخذ فى أول أمرها يوم كانت صغيرة قليلة الانتشار من الطين وفي أحوال قليلة من القصب (الغاب) البسيط (العشش) وندر أن تتخذ من اللبن. أما سقيفتها فكانت من سوق النخيل أو قصب الاذرة أو حطب القطن

ولم يتسع نطاق العزبة ويأخذ عددها في الازدياد بل ولم يدخل التهذيب الي مبانيها الا منذ العشرين او الخمسة والعشرين سنة الاخيرة بدافع من عوامل شتى، نخص منها الامن العام ومد طرق المواصلات وما أعطى الي حقوق الملكية من ضمان وما أدخل على طرق الري والصرف ونظام الزراعة من تحسين وتنقيح

ولم يكن أثر طباع الفلاح أقل من أثر العوامل السابقة في هذا التطور « فالفلاح الذي اعتاد أن يلزم أرضه التى يفلحها والذى ما كان ليعيش منفرداً كان ياوذ دائما بقرية أو كفر فيقيم لنفسه مأوي ليأمن على نفسه وعلى ماله »

ولما لم يكن في ذلك العهد الغابر وجود للملكية الفردية او ان وجدت

---

(١) كان استغلال الاراضى الفسيحة في العصور القديمة يفضى الي بناء منازل للعمال على هيأة بلاد تماثل من بعض وجوهها العزب في هذه الايام

فان الاراضى كانت في ايادي ملاك قليلين فلم تكن ثمت حاجة لايجاد عزب منفصلة عن بعضها قائمة بذاتها واقتصر الحال على اقامة مجموعات متكاثفة من الابنيه يختلف تقاربها من بعضها وتكاثف الواحدة منها تبعا لخصوبة أرض المنطقة التى تقام بها

اما عن وجود الملكية الفردية الخاصة ؛ خلا ملكية الامراء والقسوس ؛ عند قدماء المصريين فهذا أمر يتعذر الحكم فيه . ولكنه لا يوجد شك فى انها كانت موجودة فى عهد يوسف عليه السلام كما يتبين لنا اذا رجعنا الي التوراة اذ تشير الآيات المعروفة فى هذا الكتاب الى أن وزير بنى اسرائيل جاس حلال الديار ابان سنى القحط فابتاع من الاهالى جميع الاراضى لحساب فرعون : وكانت ضغطة المجاعة القاسية التى استحكمت حلقاتها وبلغت أقصى شدتها تدفع كل فرد الى بيع ما ملكت يداه . وهكذا ابتاع يوسف جميع مصر لعزيزها

وورد في التوراة أيضا « انه من ذلك الحين الى عهدنا هذا يؤدي لملك مصر اتاوة خمس الايراد من كل أرض وظل هذا قانونا ساريا الاعلي أرض القسوس الذين اعفوا من هذه الضريبة »

وقد أظهر يعقوب أرتين باشا فى كتابه القيم على الملك العقارى في مصر (١) كيف أن مثل هذه الحال ظلت سائدة علي مر القرون وطيدة الاركان لا تزعزها الهزاهز كجلمود الصخر او هي أقسى وأصلب ولا غرو فكان كل فاتح يستبقي من القوانين ما يتمشى مع مصالحه الشخصية ويوافقها رغم ما فيها من الاجحاف بالشعوب المغلوبة

(١) الملك العقارى فى مصر ليعقوب ارتين باشا المطبعة الاهلية ١٨٨٥

والملكية الفردية ان كانت قد وجدت حتى عهد يوسف عليه السلام أي حتى القرن السابع عشر قبل الميلاد ، فقد اختفى ظلها من ذلك الحين ولم تعد الي الظهور من جديد الا من نصف قرن علي وجه التقريب

ويرجع الفضل في تطور الملكية في مصر تطوراً تدريجيا وفي وصولها الى دورها الحالي الى مدنية الشعوب الآرية . وان كتابنا هذا ليضيق بالاشارة الي جميع أوجه هذا التطور ولذا فنحن لم ندخله في نطاقه وحسبنا أن نقول أن الفلاحين في مصر لم يملكوا أرضا الى حكم محمد علي الكبير وأنه لم يوجد بالقطر مالك حقيق تصح عليه الكلمة اللهم الا أفراد قليلون تمتعوا بهذا الامتياز

وقد وقف مصلح مصر الكبير علي اضرار مثل هذه الحالة فعمد الى اجراء اصلاحات زراعية جمة انتهت مع غيرها الي انشاء دفاتر فك الزمام وعمل تقريع دقيق عن مساحة الاراضى ثم توزيع هذه الاراضى علي الاهالي المزارعين فاصبح الفلاح المصري لاول مرة يملك باسمه ارضا معينة محدودة مثبتة بالسجلات المصرية (١) . ولما كان هؤلاء الفلاحون في أول أمرهم مخولين حق الانتفاع بهذه الارض مدة حياتهم فقط . ثم خولوا بعد ذلك حق توريث هذا الانتفاع فقد تدرجت الملكية فى الدخول ضمن القوانين العادية السارية حتى أصبحت هذه الاراضى ضيعات خصوصية يملكها تمام الملك أفراد مخصوصون

وعند ما أدخل محمد علي نظام الري المستديم أحدث انقلابا تاما فى الزراعة بتغيير أنواع المزروعات وطرق استغلال الاراضى وكانت هذه

(١) يعقوب ارتين باشا . المؤلف السابق

الاصلاحات الحجر الاول في أساس النجاح والسعادة التي نشاهدها(١) اليوم.

وقد كان من جراء زيادة عدد السكان المضطرد والارتفاع التدريجي لقيمة المحاصلات الزراعية التي تنمو بالاراضي ان اتسعت دائرة الزراعة وجزئت الاراضي الي ملاك عديدين وجعلت الحاجة ماسة لاصلاح الاراضي التي لم تكن منزرعة بعد. كل هذه دواع عدة عملت علي ضرورة التوسع في بناء العزبة حتى آلت الي ما نراها عليه اليوم.

وقد قضت الضرورة في العهد البائد أيام حكمدارية نظام رى الحياض سائداً بأن تكون مساكن العمال الفلاحين بمنجاة عن الفيضان السنوي ولذا ما كانوا لينشئونها الا عند حدود الصحراء التي تحف الوادي أو علي الجسور او وسط الحياض نفسها علي قمم آكام صناعية. وطريقة اقامة المباني علي آكام مرتفعة كانت متبعة من عهد رمسيس الثاني بل ومن قبل هذا العهد ويقول «ديودور صقلية» أن هذه الآكام كانت تعمل في المكان الذي ينوي اقامة المدينة فيه حيث تبنى اولا حيطان سميكة من الطوب الاخضر في صفوف متوازية وأخري متعامدة عليها علي شكل حواجز ثم تملأ الفراغات بين هذه الحيطان بالاتربة والحجارة أو أي مادة

(١) وانه لجدير بنا ان نذكر هنا ان فكرة بناء خزانات لحجز المياه وحفر ترع جديدة وتوسيع زراعة قصب السكر والقطن واتباع نظام الرى المستديم في مصر ثم توزيع الاراضي على الفلاحين كانت من بنات افكار علماء الحملة الفرنسية ونابليون بونابرت نفسه. وكان جرار والقائد ديزيه يريان ان اضمن وسيلة للاسراع في تقدم هذا البلد جعله يستفيد عاجلا من التحسينات المهمة التي هو اهل لها. والفضل في تحقيق هذه الاصلاحات يرجع الى محمد على الكبير.

أخري في متناول اليد . وفوق هذا الاساس المتين تقام المساكن علي مستوي أعلا من مستوى الارض الطبيعي . وهذه منفيس وطيبة بلدتان من بلاد المصريين القدماء ، مثل لذلك

وكانت حالة الزراعة ـ الشتوية في مجموعها ـ تسمح للمزارع أن يقيم بعيداً عن حقله لا يجئ اليه الا بعد نزول الماء عنه ليلقي بذوره في الطين ثم يعود اليه ثانياً بعد بضعة شهور للحصاد

ولكن أصبحت الآن الحال غير الحال بالنسبة لنظام الرى المستديم والمزروعات الصيفية . فقصب السكر والقطن وغيرهما من المحاصيل الزراعية التي تحتاج الي خدمة وعمليات زراعية جديدة تتطلب كثيراً من الايدي العاملة وضرورة وجود الفلاح بحقله الذي يباشر زراعته . واكثر ما تكون هذه الضرورة في الاراضي التي تجري اصلاحها

فاذا وجدت قرى او كفور علي مقربة من الاراضي التي تكون مجزأة وتابعة لملاك عديدين أو الاراضي التي يجري اصلاحها عمد المزارعون الذين يفلحون هذه الاراضي الي الاقامة بتلك القري او الكفور . والا دعت الحالة الي بناء عزبة خاصة ، وهذا هو ما يحدث غالبا سيما في البراري (١) الواقعة في شمال الدلتا حيث كانت هناك في الايام الغابرة مدن راقية عامرة لم يبق منها كبيرها وصغيرها غير خرائب واكوام (لوحة ١)

ولقد احتفظ مسكن الفلاح الذى يأوي اليه ببساطته الريفية التي نقلها عن اسلافه القدماء في جميع ابنيته حديثة كانت او قديمة في القري كانت او في العزب « ولم يكن هذا المسكن الا غرفة قوامها اللبن المصنوع

(١) الاراضي البور الغير المنزرعه

من الطين الذي يتخلف من النهر أو المساقى . وندر أن يضاف الى هذا الطين القليل من تبن الشعير أو الفول أو الكتان أو البرسيم ليصير اكثر تماسكا وأشد متانة (١) وقل أن يتجاوز ارتفاع هذا المسكن قامة الرجل أو تتعدى مساحته بضعة أمتار مربعة . لا منفذ به سوي الباب . أما سقيفته فمن القصب (الغاب) أو جاف الاعشاب أو قصب الاذرة أو العويجة أو حطب القطن . وهو علي ما ذكر يضم بين جدرانه الضيقة أفراد العائلة والماشية والطيور وأدوات الطبخ وغيرها . أما الاثاث فليس به منه سوي صندوقة العرس ذي الطلاء الاحمر والاصفر والاخضر وهي علي صغر حجمها أوسع من أن تضم الملابس والقماش التى يحتفظ بها لوقت الحاجة .

أما ذخيرة الحبوب فتودع صوامع طينية أسطوانية الشكل تقفل بسداد من الطين اللاذب على فوهتها ، وحبوب تخزن على هذه الحالة لا تبقى طويلا بحالة حسنة (٢)

---

(١) ان طمى النيل موافق جدا لعمل الطوب الاخضر ولكن اذا زادت نسبة الطين الغروى فيه وجب اضافة شيء من التبن او أى مادة نباتية جافة لتقلل الانكماش الذى يحدث عند جفاف الطين

(٢) كان قدماء المصريين يحفظون الحبوب والزيوت والحاجيات الاخري المختلفه في صوامع دقيقة الصنع يبلغ ارتفاع بعضها مترين أو اكثر . وتصنع هذه الصوامع من طبقة فخارية يطلى داخلها بمادة صمغية حتي تصبح صماء غير مسامية ويفضلون الطلاء بصمغ الصنوبر عن المصطكى المستخرجه من شجر المصطكى وكذلك كانوا يستعملون القار الذي يستخرج من الشام (رنجامان . ابحاث في تاريخ هندسة الريف . المجموعة السنوية للمجمع الاهلى الزراعي السلسلة الثانيه الجزء الثالث ١٩٠٤ ص ١٤٠ ومايتبعها)

« والعادة أن يكون لكل عامل وأسرته مسكن خاص قائم بذاته يتكون من غرفة أو غرفتين متلاصقتين يغلب ان يكون سقفهما علي شكل قبة . ولهذا المسكن فناء داخلي تزدحم فيه الماشية والطيور وأحطاب الوقود وبعض مهمات زراعية

ولا يوجد في غرف السكنى أي منفذ للهواء أو للضوء وان وجد فلا يلبث أن يسد ولا غرو فقد أهملت في مساكن الفلاح مهما كان وضعها ونظام غرفها جميع وسائل الصحة فان الهواء والضوء وهما العاملان القويان في تطهير فضاء الغرفة وتنشيط الحياة الصحية لا ينفذان اليها الا من فتحة الباب أو من صدوعه وشقوقه . ولما كان تنظيفها نادراً وغسلها مستحيلا تنبعث منها بطبيعة الحال رائحة كريهة وتكثر فيها الطفيليات بانواعها وتتكاثف سحب الذباب والبعوض فى فضاء هذه الاكواخ . ولا يبرأ الفلاح منها بنفسه الا بعد اثارة زوابع من الدخان يزمي بغدها داخل مسكنه كما ينسل الخنزير الى جحره

ومما يثير الدهش أننا لا نرى ، مع هذه الظروف الصحيه التى تحرك الشجون ومع هذا الوسط الملائم لانتشار الامراض المعدية كل الملاءمة ان الاوباء التى تفشو بسرعة البرق فى القري التى يقطنها الفلاحون ليست من الفتك بدرجة مروعة

واذا مافشت بين وقت وآخر فانها لا تعيش طويلا ولا تلبث ان تبيد بسرعة بفضل التأثير المبيد للجراثيم الذي تتمتع به حرارة الشمس وضوؤها وهما شديد ان في مصر وتأثيرهما فعال قوى علي ميكروبات الامراض . وهكذا يعيض (رع ـ الشمس) المحسن الكريم الفلاح عن

جهله وعدم تبصره واستسلامه للقدر بعوامل صحية قيمه (١). وزري، اتماما للفائدة، ان نقرن الوصف الذي اوردناه عن المساكن الريفيه بالشرح الآتي نقلا عن ماجاء في بحث المتع لجناب المسيو رنجلمان عن تاريخ هندسة الريف (٢)

«ان مساكن الفقراء غاية في بساطة التركيب وهي عبارة عن مستطيل يتراوح طوله بين أربعة وخمسة امتار وعرضه لايزيد عن ثلاثة امتار. له باب واحد وسط الحائط الطويل:

«اما بناؤه فالبساطه بعينها. اذ تقام اربع حزم من القصب (الغاب الذي ينمو عادة على شواطيء النيل) كل حزمة في زاوية من زوايا المسكن المراد انشاؤه بحيث تكون مائلة قليلا وتربط هذه الحزم من اعلا باربع حزم افقيه اخري. وتتخذ الحيطان من عيدان من الغاب توضع رأسيه وتشد بعيدان اخري افقية متداخلة مع بعضها بواسطة خوص النخيل ومتى تم ذلك يعمل حلق الباب وهو المنفذ الوحيد الي البناء ويتركب من ثلاث حزم من القصب، اثنان رأسيان مائلان قليلا ويكونان جانبي الباب (الكتفين) والثالثة افقية من اعلاهما تكون (العقد). ثم تطلي (تدهك) هذه الحيطان المصنوعة من القصب بعجينة من طمي لزج مخلوط بالتبن سيما بتن الفول حيث يبلغ سمك الطلاء بضع سنتمترات. وبعد ايام قليلة يعاد الطلاء (دهاكة) مره ثانية حيث يكون قد تم جفاف

---

(١) ج ب بيو. بك. «محادثة وبحث في طبائع الفلاح» في نشرة الجمعية الجغرافية الخديوية السلسلة الخامسة ١٨٩٩ ص ٣٢١.

(٢) «ابحاث في تاريخ هندسة الريف» مجموعة المجمع الاهلي الزراعي السلسلة الثانية الجزء الثالث ص ١٤٠ وما يتبعها

الاول ثم طلاء ثالث ورابع وهكذا حتى يصل سمك الحائط الى الحد المرغوب الذى لا يزيد غالبا عن نصف متر تقريبا . «ثم توضع حزم من الغاب بموازاة عرض الغرفة على الاربع حزم العليا التى منها تتكون سقيفة الغرفه وتوضع حزم اخري فوق هذه تتقاطع معها ثم يغطى الجميع بطبقة رفيعه من الطين

وكانت الابنية العادية منخفضة لا يتجاوز ارتفاعها اللترين من الداخل عدا النوافذ (الشبابيك) غاية في الضيق. ولكنه يجب أن نذكر ان حياة الفلاح يقضي معظمها خارجا في الهواء الطلق وكان يكفل طيب مناخ مسكنه بأن لا يجعل له سوي منفذ واحد

« اما ارض هذه الغرفة فكانت تدهك بالطين. وسقفها مسطح يفي بالغرض ، نظرا لابعاده الضيقة . في بلد كمصر قليلة الامطار

« وتقام هذه الابنية على غير اسس (جمع اساس) . وليس بها اقبية تحت الارض . اما النبيذ فكان يحفظ مع بقية المؤن الاخرى في مرافق تنشأ علي شاكلة المساكن التى اتينا علي وصفها ، ذات جدارا كثر سمكا لتخفيف تأثير التقلبات الجويه . تستدير حيطانها فى بعض الاحيان من اعلا لتتصل ببعضها وتكون قببا

« والشكل رقم ـ ١ ـ يمثل بناء احقليا من مباني العزب في مصر : يشمل بابا واحدا . ا . وغرفة واحدة . أ . يوجد بها صفة (مصطبة) من الطين اعدت لتناول الطعام وللجلوس عليها . ب . ومصطبة اخري ج . كالسابقة من الطين أيضا أعدت للنوم. وتغطي الاثنتان بالحصير . ومد على الحيطان . ح . مرائن (جمع مرينة) من الخشب عليها من الاعلى ألواح يوضع فوقها الغاب الذي يغطي أخيراً بطبقة من الطين . د. وتدهك

حيطان هذا المسكن بخليط من الشرب (الطمي المتخلف من تطهير المساقي) وروث الماشية . اما المكان الذى يطهي فيه الطعام فيكون خارج المسكن في كانون . ك مكون من قطعتين من الحجر . وفي الجهة الخلفية من البناء يوجد مأوي صغير هو حظيرة الماشية . هـ . وهو عبارة عن ثلاث قوائم . ق . يعتمد عليها خشب يغطي بالغاب . ء . وبداخل هذه الحظيرة يوجد المعلف (المدود ـ الطوالة) . م . وهو مصنوع من الطين وبحافته قطعة متينة من الخشب ش . . والي جانبه اوتاد . و . تربط اليها الماشية .

«ولما كان استغلال الاراضى الواسعة يستدعي وجود عائلات كثيرة من العمال الذين يعملون في الحقول اضطر المصريون القدماء الي بناء مساكن لهم كالتى لانشاهد منها اليوم الا آثارها العافية والتى لم تندثر الا لوهن المواد التى استعملت لبنائها . ونتركب كل وحدة من هذه المساكن من اثنى عشر مسكنا موضوعة في صفين ا ـ أ لاتختلف عن المساكن التى أتينا على وصفها (شكل ٢) . ويحتوي كل مسكن علي غرفة واحدة ذات باب واحد ا . أمامه كانون للطبخ ـ ك . والي جانبه الحظيرة الصغيرة . هـ . الخاصة بالماشية وبها المعلف . م . الذي أتينا علي وصفه (١) وهو خاص بالماشية .

---

(١) وقد أتينا هنا على نبذة مفصلة لاتخلو من الفائدة أخذناها عن المسيو رنجلمان ايضا .

اما مساكن الاغنياء فكانت على شيء من الفخامة والتنسيق ومتانة البناء .

وكانت الى ماقبل العائلة الرابعة تتكون من طابق (دور) واحد اواثنين وكانت تبنى من الخشب الذى يستبدل من الداخل على حيطان مصنوعة من الطين أو من الطوب الاخضر . (مسلة سيتون بدار العاديات (الانتكخانه) بالجيزه ـ الآن بالقاهرة ـ وتابوت ميكرونوس في عهد منقيس) . ويزين كثير من هذه المساكن من الخارج بعمد من الخشب مطلية بالوان زاهية بديعة رؤوسها مصنوعة

ويظهر لنا هذا الوصف الذي أتينا على ذكره أن مسكن الفلاح لم يحدث به تغيير يذكر أثناء القرون العدة التي مرت عليه . اذ لم يقتصر التشابه بين الماضي والحاضر على كيفية بناء المساكن الريفية وترتيبها فقط بل هناك تشابه أيضا غير قليل بين قري الماضي وقري اليوم

على هيئة ازهار اللوتس التي نزلت من نفوس المصريين منزلا ساميا . اما الحيطان واغلب ماتكون من الطين يتراوح سمكها من متر الي متر وربع فكانت تقام احيانا على أساس من « الدبش » وقد يبنى المنزل جميعه من الحجر في بعض أحوال قليلة . وتتخذ مرائن الاسقف من خشب السنط او الحميز أو جذوع النخل وتغطى دائما بطبقة مسطحة كثيفة من الطين . أما الغرف الصغيرة فاسقفها على حالة قباء « جمع قبو » وقد عرف المصريون القبو في كل حين ولكنهم قل ان يستعملوه . أما مساكن اصحاب الاملاك فكانت تبنى غالبا جميعها من الطوب الاخضر الذي يدهك « يبيض » من الداخل والخارج بطبقة من الجبس أو من الطين والجير . ولهذه المنازل أسطح « جمع سطوح » متينة يصعد اليها بدرج ذي شكل مخصوص ينشر فوقها أحيانا اقمشة « تسمى ملكوف او ملكاف » لحجب حرارة الشمس ، تجري على حبال مربوطة في عمد من الخشب . وكانوا احيانا يقضون السهرة فوق هذه الاسطح . والمنازل الصغيرة لا تتركب الا من غرفة واحدة . اما المنازل الكبيرة الاكثر اهمية فان مدخلها العام يؤدي الي دهليز يفضي الى حجرة صغيرة منفصلة عن بعضها بحواجز قصيرة مصنوعة من القاب الذي يدهك احيانا بالطين او مصنوعة من الطوب الاخضر أو من الخشب ، لا تصل الي السقف . ولم يكن بالغرف نوافذ ولكن كان ينفذ اليها الضوء والهواء ، في كثير من المساكن ، من فتحات مائلة او أفقية أو من ثقوب مستديرة او بيضية الشكل في سقف الغرفة « الذي يكون السطح » . وفي منازل الاغنياء تستمد القاعات الكبرى الضوء من فتحة في وسط السقف قائمة على أعمدة خشبية ومطلة على السطح « شخشيخه ـ المعرب »

وتفتح ابواب الغرف في ابعد زاوية من زواياها بالنسبة لمدخل الطرقة او الفناء « الحوش » . وكانت الابواب الخارجية ذات مصراعين « ضلفتين » يفتحان الى

« ومن أراد أن يتمثل لذهنه قرية قديمة فما عليه الا أن يزور قرية حديثة (١) »

والحالة التي كان عليها فلاح الامس . الفلاح الحر الذي لم يكن من

الداخل . وتقفل بواسطة «ترباس» و « سقاطة» من الخشب على هيئة «الضبة» التي لاتزال تستعمل حتى اليوم .

وتكون النوافذ في المنازل التي يعنى بها في أعلا الحائط قرب السقف . واكثر ماتكون فائدتها لتجديد الهواء . وتحاط فتحة هـذه النوافذ باطار من الخشب يثبت في الحائط اذا كانت مصنوعة من الطـين أو من الطوب الاخضر أو في خشب السقف أو تكون محفورة في حجر اذا كان المنزل مبنيا بالحجارة .

وتفرش أرض الغرف بحصير من البردى . ويغطى الجزء الاسفل «السفل» من الحائط بمثـل هـذه الحصر أيضـا أو بالواح من الخشب منقوشة بنقوش متعددة الالوان

اما منزل الريف فيتكون كالاتي . باب للدخول « على هيئة دركة » ينفتح على حافة ترعة او نهر . وقبالة الباب يوجـد المسكن وراء تكعيبة كبيرة تقوم عليها نباتات متسلقه بكل جانب منها قطعة صغـيرة من الارض لزراعة الخضر وبها قنوات يجرى فيها الماء ليكسب الحديقة رونقا جميلا وليسد حاجاتها من الري ويأتى بعد ذلك بناءان صغيران او كشـكان تقف وراءهما اشجار كثيفة ، ويكتنف الجميع سور حافته مشرشرة غالبا . والى جانب المنزل يوجد عادة مرفق «مخزن» اوعدة مرافق اسقفها على هيئة قبة

اما المنازل الكبيرة فكانت تحاط بسـور له مدخل عمومي وسط بوابة كبيرة تشبه الدركه Pylone على جانب منها او على جانبيها غرفة أو اثنتان صغيرتان لاشك انهما خاصتان بالخفير أو حارس الباب . ويوجد أمام المدخل عاموداذ من الخشب في رأسهما علمان للزينة وهما في مساكن الاغنياء بمثابة المسلات القائمة عند مداخل المعابد والقصور . (ويمكن الاطلاع على أشكال هذه الابنية في كتاب المسيو رانجلان)

« ١ » ج . ماسبيرو الاصول

الرقيق تشابه من وجوه كثيرة حالة فلاح اليوم . الفلاح في العصور الغابرة في مصر القديمة كان يأوي ماشيته التي تكون مشاركة بينه وبين مالك الارض في حظائر خلف مسكنه أو أمامه وفي هذا مشابهة لما نراه في عزب اليوم . ومن جهة أخرى ان حظائر الحيوانات التي نشاهدها الآن في كثير من المزارع الحديثة تشبه من وجوه عدة الحظائر التي نراها في النقوش والتماثيل المحفورة في كثير من المقابر والتي تمثل ما كان موجوداً في ضيعات مصر القديمة (١)

« ١ » قد اجتهد المسيو نجلهان في عمل رسم تخطيطي لزريبة الماشية من زرائب هذا العهد أخذه عن جزء من شكل مقاطعة كبيرة مرسومة في قبر في تل العمارنه . ومن هذا الرسم نرى أن الخيل كانت توضع في جوانب الزريبة وتوضع العليقة امامها في (طوالة أو مدود) . م . (شكل ٣) مبنى يصل ارتفاعه الى موازاة ركب الحيوانات وفي الخلف ممشى للسواس (خدم الخيل) امام المدخل .

اما الماشية فكانت توضع في حظائر خاصة بها على شكل فناء قد يوجد حواليه مظلات لحجب حرارة الشمس وأشعتها . وفي الرسم الذي وجد في تل العمارنه (شكل ٤) يرى أن البقر والجاموس كانت تربط رأسها الى الحائط في اربع محلات أرضها مرتفعة قليلا عن سطح الارض الطبيعي . ح . والحرف ا يشير الى الممرات التي كانت تستعمل لتوصيل الغذاء الى الماشية . ويظن المسيو نجلهان انه يظهر من هذا الشكل انهم كانوا يلقمون العلف الى الحيوانات في أفواههم خوفا من بعثرته وفقده . والشكل لا يبين لنا انهم كانو يستعملون الفرشة تحت الحيوانات . ويترك خلف الحيوانات ممر رئيسي متوسط لقضاء اللوازم ولمرور الخدم . ا : الرقم . ب . يمثل مرافق صغيرة أو غرفا تأوي اليها الحيوانات الصغيرة والمهمات والخدم . والرقم ح يمثل الباب العمومي للحظيرة والرقم . و . يمثل بابا صغيراً جانبيا للخدم . وفي أحوال كثيرة تغطي المحلات ح ، ا من حرارة الشمس بغطاء خفيف يرتكز على سور الحظيره ه من جهة وعلى حافة

و اكثر ما يكون الاختلاف بين أبنية الحاضر والماضى هو في الأماكن المعدة لحفظ المحاصيل والحبوب . فان الغلال في العصر الغابر كانت عملة التبادل بين الأفراد وكان من الضرورى زيادة العناية بحفظها ولذا فان المصريين القدماء كانوا يبنون مخازن لحفظ المواد الغذائية وطوامير لخزن الغلال وأفنية تحت الارض وصوامع وغير ذلك مما لا نرى له مثيلا في أبنية اليوم (١)

الممر الوسطى . وهذا الممر قد يكون أحيانا كبير الاتساع .

ومن هذا الرسم نرى أن الحيوانات كانت تربط من رقبتها الى قطعة سفلية من الخشب . و . اما الآن فتربط الماشية من أحد أعضائها الاماميه . ويمكن تعليل هذا الاختلاف بأن طرق المصريين في ربط مواشيهم قد تغيرت بعد الغزوات المتعددة التى شنها المغاربة عليهم

اما الاغنام فكانت تجمع في فناء واحد به مأوى صغير من الغاب توضع فيه الصغار الحديثه الولادة

اما الخنازير فكانت توضع في اخصاص « عشش » من الغاب أو من فروع الاشجار مدهكة بالطين .

وانه لمن المدهش أن نقول أن النظام الذي كان متبعا قديما في زرائب الماشية هو الذى نشير به اليوم كواحد من أحسن الانظمة التى يحسن اتباعها

« ٢ » قد استخرج المسيو م . رنجلمان في كتابه رسومات كثيرة عن مخازن للاشياء التي يراد حفظها وعن مخازن للحبوب واقبية تحت سطح الارض وصوامع

والرسم التخطيطى الذى استخرجه رنجلمان من الصورة الموجودة بمقابر تل العمارنه يبين أن اكوام الغلال « العرم جمع عرمة » كانت ذات شكل شبه منحرف وكانت توضع فى أجران مستديرة او مربعة او مستطيلة مبنية حوائطها من الطين او من الطوب الاحمر في أحوال قليلة

ولما كانت الضرائب كلها تدفع عينا لا نقدا « أى من عين الشىء الذى

ولم نقصد بما أوردناه هنا من هذه المتشابهات العديدة بين الماضي والحاضر أن نقول أن الفلاح المصري ظل جامداً على ممر القرون لم يدخل التغيير على شيء من أخلاقه الاولي وعوائده التي كان عليها في العصور الخالية . على أنه لم يفتنا أن نعترف أن التطور الذي حدث في نظام حياته ومسكنه لم يكن الا تطوراً سطحياً ولم يغير كثيراً من هذا النظام

وانه وان كان كثير من العرب التي أقيمت حديثا بمصر تتوفر في

تجبي عنه الضريبة » فانها كانت تحفظ في مخازن كبيرة تعرف ببيت المال اوبالديوان موكول حراستها الي عدد كبير من الموظفين . وفي رسم من الرسومات الموجودة على قبر من قبور تل العمارنه نرى بوضوح تام شكل احد بيوت المال هذه التي كانت خاصه بخزن الحبوب

وفي الاقطاعيات الكبيرة كانت تخزن الحبوب في مخازن مبنية تقفلها من أعلا شبه قبة صغيرة ولها فتحة واحدة ترمي الحبوب منها الي داخل المخزن وهي موجودة في الجزء العلوي من البناء يصعد اليها بسلم أو بدرج أو بمزلقان منحدر وفي أسفل البناء توجد فتحة ج هي الباب ومنها تفرغ الحبوب وتحمل هذه الحبوب الى المخزن في اكياس من القماش أو من الجلد . ه . « وفي شكل ٥ . يري أن المخازن مقامة في فناء محاط بحوائط من اعلى . و . وبها المدخل العمومي . ر »

وفي رسم آخر لبني حسن ترى عدة من امثال هذه المخازن مرتبة في صفين داخل فناء واسع وهي تابعة لاقطاعية كبيرة ويقول الكتاب المقدس ان الحكومة في عهد يوسف عليه السلام اقامت أمثال هذه المخازن ولا بد انها كانت كبيرة شائقة .

ويقول بروت وشبيه؟ أن بعض هذه المخازن التي كانت معدة للحبوب (بني حسن) لم يكن لها الا فتحة واحدة قرب منتصف ارتفاعها يصعد اليها بمرتفع خارجي . وترمى من فوهة هذه الفتحة الواسعة الى الداخل الحبوب التي يراد خزنها .

منها كنها من وسائل الراحة اكثر مما كانت عليه مساكن العرب القديمة الآن الوسائل الصحية بها لاتكاد تكون أحسن مما كانت عليه سابقتها

ولاشك أننا سنظل طويلا نعتمد على ما يمدنا به الله الشمس من الوقاية من الامراض لانه ليس من الهين السهل أن يمكننا الاشارة باتباع طرق عملية صحية لضمان الصحة العامة فى عرب كاتى نحن بصددها في مصر . وأن الطرق التي كثيراً ما نصح باتباعها في العرب ليست كلها كما يتراءى لنا ممكن تنفيذها الا في الكفور والعشش الموجودة بجوار المدن الكبيرة (١)

وغير هذه مخازن أخري ذات شكل نادر وخاص بها يشبه الزلعة أو البلاص وبها باب عند سطح الارض ونافذة في جزئها العلوى

وكان القدماء ايضا يبنون غير ذلك أقبية تحت الارض صغيرة ذات شكل مربع ومبنية من حجر الجرانيت ويغطونها تماما بسقف من حجارة الجرانيت ايضا مائل لتنزلق عليه مياه الامطار

« ١ » راجع تقرير الحواجات شكور وديتريسين عن العشش بضواحى الاسكندريه « تقرير بلدية الاسكندرية عن سنة ١٨٩٧ »

فأن المسيو ديتريسين بعد ان وصف الحالة السيئة لهذه العشش وأظهر ضرورة الاهتمام بالصحة العمومية بها من حيث الوفيات الكثيرة التى تحدث سيما وفيات الاطفال الصغيرة وكذلك من حيث سرعة تفشي الامراض وانتشارها سيما المرض الحبيبي في الأعين والامراض الجلديه والكوليرا ومرض الاسهال وبعض امراض اخري . بعد أن أتى على وصف هذا كله اقترح كوسيلة لعلاج هذه الحالة — انشاء طرق فسيحة يصل اليها ضوء الشمس تماما وتسير بها انابيب المياه تحمل مقدارا وافرا منه وانشاء مراحيض ومبال عمومية وينصح ايضا أن يكون ارتفاع حيطان المساكن ثلاثة أمتار بدلا من مترين ونصف « وهو الارتفاع الذى كان متبعا » وأن يستعمل في بناء هذه الحيطان الدبش الذي يستحضر من المكس بالاسكندرية وموتة من الجير والرمل

على أننا نرى — رغم ماذكرنا — أنه من المفيد الاشارة ببعض تحسينات يمكن اتباعها عند البدء في اقامة عزبة من حيث انتخاب موقع لها واختيار مواد البناء واتباع الطرق التي يستطاع بواسطتها حماية الاهالي الذين

وتطلى الحيطان بعد ذلك بطلاء من هذه المونة أيضا وأن تكون عروق الاسقف من خشب الكتلة وأن تغطي الاسقف وأن تبلط الارضية بالطوب المجوف المطلى بالاسمنت وأن يوجد عدد من النوافذ كاف لأدخل الهواء والضوء اللازمين

ثم ترتب المساكن على هيئة رقعة الشطرنج في مربعات متساوية الابعاد كل مربع يمثل بالتعاقب منزلا واحدا وفناءا واحدا بجانبه

ويلوح لنا أن ترتيبا كهذا هو أسهل مايمكن اتباعه لانشاء قرية صغيرة من « العشش » اذ يختص بهذه الطريقة كل مسكن بفناء يمكن استعماله لأوي للماشية أو لاى نوع من الحيوانات المنزلية التى تتعلق بالساكن أو مستودعا للاشياء العديدة التى يلتقطها من الطرق ويستعملها كوقود للوقود .

ومن السهل جدا اذا دعت الضرورة — ضم غرفتين أو أكثر الى بعضهما وذلك بابطال فناء واحد أو اكثر حسب الحاجه

وبهذه الطريقة يتسنى ايضا اقامة « عشش » ذات مساكن عديدة وفناءات رحبة واسعة

أما الطرق التي تمتد وسط هذه المساكن فيجب أن تكون كبيرة ذات وضع يسمح بوصول الضوء والهواء اليها من كل ناحية .

ثم يخصص في وسط القرية محل عمومى تستطيع الاطفال أن تلعب فيه وتمرح تحت ظل شجرة كبيرة وارفة تنمو وسط هذا المكان

وفي ناحية منه تقام نافورة تنشر المياه حولها صعدا حتى اذا ماتساقطت مياهها جرت الى حيث تستقى منها هذه الشجرة

وفي الناحية الاخري تقام زاوية للصلاة مع مايتبعها من مراحيض عمومية وفي الدور الاسفل من هذه الزاوية ينشأ كتاب صغير لتعليم الاولاد

« اما من الوجهة الصحية فى هذه المساكن فيقول المسيو جوتشليسين انه يجب الاهتمام قبل كل شيء بمنع الرطوبة. وبدون أي تعرض الى بحث خاص اقول انه

يقيمون بهذه المساكن من تأثير الرطوبة أو الحرارة بالمنطقة التي تقام بها

وقد يذهب بنا الظن الى أن مساكن العمال التي تقام الان على أحدث النظم والاشكال في البلدان الاخرى تقع من الفلاح المصري موقع الاستحسان . على أنه يجب على أن لا يفوتنا أن الوقت لم يحن بعد لادخال

يجب أن يكون سقف الغرف من الاسمنت وان يمنع سريان الرطوبة الارضية في الحيطان بطبقة من الاسفلت توضع وسط الحائط وان يدهك السقف من اعلا بمواد لا تنفذ الماء وان يكون السقف بحيث يضمن انصراف ماء الامطار بسرعة بمجرد نزولها . ثم يجب فوق هذا كله تنظيم مراقبة وتفتيش مستمر بمعرفة طبيب الجهة الذي يقدم تقريره الى تفتيش الصحة

ومن بين المسائل التي يجب ان يوجه اليها اكبر قسط من الاهتمام مسألة المراحيض وكيفية انشائها . واني أعتقد ان المراحيض التي تتبع زاوية الصلاة لا تكفي احتياجات عدد كبير من السكان وانه من الضروري انشاء مراحاض في كل مسكن على حدته حتى يمتنع بذلك انتشار التبرزات في الطرق كما هو جار الان . وبما ان عمل « مجرور » خاص في كل مسكن يتطلب نفقات كبيرة فضلا عن صعوبة تنظيف هذه المجارير فاني اقترح عمل جرادل من الحديد تغير بغيرها نظيفة فارغة كلما امتلأت وبانتظام . وهذه الطريقة تجمع بين البساطة وقلة النفقات واكثر انطباقا على الشروط الصحية . وفي الوقت الذي يتم فيه عمل المجاري العمومية في طرق المدينة يمكن عمل اتصال بين مراحيض العشش والانابيب العمومية

اما من حيث توصيل المياه الى السكان فاني أقترح عمل حنفيات متصلة بشركة المياه لا يقل عددها عن حنفية واحدة لكل عشرة عشش

« اما من حيث الاوساخ وحمالة الطرق فيجب ان يوضع صندوق كبير من الزهر لعدد معين من العشش يكون خصيصا لان ترمي فيه هذه الاوساخ التي نراها الان مبعثرة هنا وهناك في الطرقات وفي الاراضي البراح . ويجب ان يوجه من العناية الى كنس طرقات هذه العشش وريها مثل ما يوجه الى شوارع المدينة نفسها »

ومن هذا نرى انه من الصعب تطبيق كل هذه الاجراءات في الغرب

هذه النظم وأن المزارع سيظل يري في مساكنه الحالية مع ما هي عليه
من البساطة المتناهية مايكفيه كل ضروريات مسكنه وينطبق علي عاداته
التي نقلها عن اسلافه

عربها عن الفرنسية
محمد عزيز فكري